Journal of Al-Muqaddimah, Vol. 13 (2), 2025, 163-178
https://doi.org/10.22452/muqaddimah.vol13no2.8

القلاع والحصون بمنطقة الفجيرة بوصفها مرتكزات للتطور الحضري والسكاني: دراسة في تاريخ قلاع الفجيرة وتأثيرها على محيطها الجغرافي

(Fujairah's Castles and Forts as Cornerstones of Urban and Demographic Development: A Study in the History of Fujairah's Forts and Their Impact on the Geographical Environment)

Amnah Ahmed Saber Mohamed Aldhanhani* , Faisal @ Ahmad Faisal Abdul Hamid**
& Shuaibu Omar Gokaru***

Abstract

This research represents an exploratory attempt employing a historical methodology. It provides a comprehensive analysis of the pivotal role played by castles and forts in the Emirate of Fujairah, where they served as fundamental factors in shaping settlement patterns and influenced the region's urban and demographic development. Moving beyond their original purpose as defensive installations, the study argues that these forts functioned as integrated environmental catalysts that fostered the sedentarization of nomadic communities. They played a primary role in securing vital resources that incentivized human settlement—such as water and agricultural land—and in protecting strategic trade routes. Through investigative case studies of major forts like Fujairah Fort and Al Bithnah Fort, the research explores the symbiotic relationship between a fort and its surrounding settlement. It also addresses the functional transformation of these castles in the modern era, from symbols of tribal authority to icons of national identity and economic resources through cultural tourism. The research concludes that Fujairah's forts were not merely silent witnesses to history but were active drivers in shaping the demographic and economic map of the eastern coast of the United Arab Emirates.

Keywords: *Fujairah Forts, urban development, architectural heritage, human settlement, fort economy, heritage preservation, United Arab Emirates*

ملخص البحث

هذا البحث يمثل محاولة استكشافية بمنهجية تاريخية حيث يقدم تحليلاً شاملاً للدور المحوري الذي اضطلعت به القلاع والحصون في إمارة الفجيرة إذ مثلت عوامل أساسية في تشكيل الأنماط الاستيطانية وأثرت على التطور العمراني والسكاني في المنطقة. وبعيداً عن كونها منشآت دفاعية من حيث أصل المستهدف من إنشائها ، يجادل البحث بأن هذه الحصون

* Amnah Ahmed Saber Mohamed Aldhanhani. Department of Islamic History, Civilization and Education, Academy of Islamic Studies, Universiti Malaya, Kuala Lumpur, Malaysia. Email: s_abar2@hotmail.com
** Faisal @ Ahmad Faisal Abdul Hamid (PhD). Associate Professor, Department of Islamic History, Civilization and Education, Academy of Islamic Studies, Universiti Malaya, Kuala Lumpur, Malaysia. Email: faisal@um.edu.my
*** Shuaibu Omar Gokaru (PhD). Senior Lecturer, Department of Islamic History, Civilization and Education, Academy of Islamic Studies, Universiti Malaya, Kuala Lumpur, Malaysia. Email: gokaru@um.edu.my

كانت بمثابة محفزات بيئية متكاملة أدت إلى استقرار المجتمعات البدوية، إذ كان لها دور رئيس فى تأمين الموارد الحيوية المحفزة للاستقرار البشرى مثل المياه والأراضي الزراعية، وحماية الممرات التجارية الاستراتيجية. من خلال دراسات حالة استقصائية لقلاع رئيسية مثل قلعة الفجيرة وقلعة البثنة، يستكشف البحث العلاقة التكافلية بين الحصن والمستوطنة المحيطة به، كما يتناول التحول الوظيفي لهذه القلاع في العصر الحديث، من رموز للسلطة القبلية إلى أيقونات للهوية الوطنية وموارد اقتصادية من خلال السياحة الثقافية ويخلص البحث إلى أن قلاع الفجيرة لم تكن مجرد شواهد صامتة على التاريخ، بل كانت محركات فاعلة في رسم الخريطة الديموغرافية والاقتصادية للساحل الشرقي لدولة الإمارات العربية المتحدة.

الكلمات المفتاحية :قلاع الفجيرة، التطور العمراني ، التراث المعماري، الاستيطان البشري، اقتصاد الحصون، الحفاظ على التراث، الإمارات العربية المتحدة

مقدمة

تمثل القلاع والحصون المنتشرة على امتداد الساحل الشرقي لدولة الإمارات العربية المتحدة، وتحديداً في إمارة الفجيرة، معالم معمارية بارزة تشهد على تاريخ حافل بالصراعات والمواجهات والتحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية . وقد بقيت هذه المعالم المعمارية البارزة محورا لاهتمام السكان فضلا عن الباحثين والمهتمين بالتاريخ وتحولاته فى تلك المنطقة التاريخية بالغة الأهمية . ولقد ظهرت كثير من الدراسات التى تتناول تلك القلاع والحصون من الناحية المعمارية أو التاريخية بوصفها منشئات دفاعية [1]أنشئت فى الأصل فى مواجهة الغزوات الخارجية التى استهدفت المنطقة من قديم سواء من أعداء الخارج من الغزاة القادمين من وراء البحار أو من غزاة الداخل من القوى المناوئة فى إطار الصراعات التقليدية التى عرفتها المنطقة القائمة على البنية القبلية المتصارعة دوما للسيطرة وبسط اليد على مناطق الموارد الحيوية ، ومفاصل السيطرة والنفوذ.

وهو ملمح من أهم ملامح الحياة فى الجزيرة العربية بوجه عام ظل له السيطرة كمحرك رئيسي للأحداث فى مرحلة ما قبل الإسلام[2] ، ومن اللافت لنظر الباحث والباعث على التأمل أن تعود لهذا العامل التاريخى حيويته ودوره الفاعل فى مرحلة ما بعد سقوط الدول الإسلامية المركزية القوية التى سيطرت على المنطقة حينا من الدهر وساد فيها إلى

[1] الحارثي، سالم ، الهندسة الدفاعية للقلاع في الإمارات: دراسة تحليلية ، العين: جامعة الإمارات العربية المتحدة ، 2019 ، ص27

[2] نبيه عاقل ، تاريخ العرب القديم وعصر الرسول ، دمشق، 1969 ، ص257

حد بعيد على تفاوت بينها مفهوم الأخوة الإسلامية الذى خفتت معه إلى حين حدة العصبيات القبلية كمحرك للأحداث ، وإن أبقاها الإسلام لاعتبارات سياسية واجتماعية واقتصادية ليس هنا موضع تتبعها وحسبنا الإشارة للظاهرة [3]وإن كانت تلك العصبية القبلية قد ضعف تأثيرها كثيرا إلى حد الاختفاء والتلاشى بعد ظهورالدول الحديثة المستقرة التى نشأت على مسرح التاريخ ليس فقط بتأثير الضغط الخارجى للقوى الاستعمارية التى سيطرت على المنطقة حينا ولم تدعها إلا بعد التأكد من استقرار مصالحها على نحو ما من خلال أنظمة متعاونة فى إطار اتفاقات حضارية منظمة للعلاقات والمصالح ولكنها ظهرت بتأثيرعوامل داخلية تتعلق بدواعى الواقع وتأثيراته على فكرة الصراع القبلى وضرورة التعاون بين القوى المتصارعة بالأمس فى أطار عقد اجتماعى يحافظ على مصالح الجميع وتوازنات العلاقات فيما بينها.

وإذا كانت القلاع والحصون قد ظهرت وكثرت كثرة لافتة للنظر فى منطقة الفجيرة فى فترة الصراعات المحتدمة مع القوى المناوئة من غزاة الخارج أو منافسي الداخل فإنها بقيت مثار انتباه الباحثين فيما يتعلق بدورها الدفاعى الحربى أو بدورها السياسي كمراكز للحكم والسيطرة غير أن دورها الحضرى كمحفز على الاستقرار وقيام حياة مدنية مستقرة لم يحظ باهتمام مماثل وهو ما تسعى هذه الدراسة لتسليط الضوء عليه.

إشكالية البحث ، وأسئلته المحورية

ظلت النظرة التقليدية لقلاع الفجيرة وحصونها تحصر دورها في الوظيفة العسكرية الدفاعية أو فى الدور السياسي كمراكز للحكم والسيطرة [4]وهى حقيقة لا مراء فيها ولكنها نظرة تختزل جانباً كبيراً من الاهمية التاريخية والاجتماعية لهذه المنشئات . إن هذه القلاع، كما يظهرفي التراث المحلي للمنطقة ، لم تكن مجرد "أحجار صماء"، بل كانت مخزون عادات وتقاليد وتراث شعب عريق [5]ويطرح البحث من ثم فرضية مركزية مفادها أن تلك القلاع كانت بمثابة النواة الأساسية التي تبلورت حولها المستوطنات البشرية الدائمة المستقرة بالمنطقة ، وشكلت مرتكزاً للتطور العمراني والسكاني فيها . لقد كانت هذه الحصون نقاط جذب ديموغرافي، ومراكز إدارية واقتصادية، ومحفزات للانتقال من حياة الترحال إلى الاستقرار، مما يجعلها فاعلاً أساسياً في تشكيل المشهد الحضري والاجتماعي للمنطقة.

---

3 أكد القرآن على أن الله خلق الناس شعوبا وقبائل لغاية التعارف فهو لم ينكر الهوية القبلية بل سعى لترشيدها وقد تم استثمار القبلية استثمارا حسنا موجها من قبل النبى وصحابته لتحقيق الاستقرار الاجتماعى ، والاستنفار العسكرى ونحو ذلك

[4] الشامسي ، أحمد خليفة ، تاريخ الفجيرة شواهد ودلائل أثرية ، هيئة الفجيرة للثقافة والاعلام ، ط1، 2015، ص 11

[5] دويل، روبرت ، حصون الإمارات: تاريخ القلاع والحصون في شبه الجزيرة العربية ، لندن، مطبعة الشرق الأوسط ، 2016 ، ص 25

وقد اطلعت الباحثة على دراسات تناولت الوظائف التاريخية لتلك القلاع لكنها لم تعثر على واحدة منها تخص تلك النقطة باهتمام خاص كما اطلعت على عدد غير قليل من الدراسات التى تناولت البيئة الحضارية والتطور العمرانى للمنطقة دون التطرق إلى الاثر المهم الذى لعبته تلك المنشئات التاريخية فى هذا الصدد ومن ثم نشأت منطقة فراغ بحثى يتعين العمل على سدها ببحث علمى يتناول الظاهرة ويؤصل ملامحها ومؤثراتها وآثارها.

من هذه الإشكالية تنبثق أمامنا أسئلة أساسية محورية يسعى هذا البحث للإجابة عنها هى :

1- هل توجد علاقة سببية أساسية يمكن ملاحظتها بين وجود الحصن وتطور محيطه السكانى؟

2- هل اقتصر دور القلاع عند نشأتها على الدور الدفاعى العسكرى أم كان هناك وعى بدور حضارى مواز لذلك تم استهدافه ؟

3- هل كان هناك تطورما فى وظائف القلاع ؟ وكيف كانت صيرورة هذا التطور ؟

أهمية الدراسة ، وأهدافها

تكمن أهمية هذه الدراسة في إعادة تقييم الدور التاريخي للعمارة العسكرية في بناء المجتمعات الخليجية وبخاصة فى منطقة إمارة الفجيرة الواقعة على الساحل الشرقى مطلة على بعض أهم الممرات المائية الدولية . ففي سياق تاريخ دولة الإمارات، يمكن ملاحظة نقطة جوهرية وهى أن هذه القلاع قد شكلت المراكز الإدارية والسياسية الأولى التي مهدت الطريق لقيام الكيانات الحاكمة المحلية وبسط سيطرتها على أراضيها. ومن ثم تتلخص أهم أهداف البحث فيما يلى :

1- إثبات العلاقة السببية بين وجود الحصن ونمو وتطور محيطه السكاني والعمراني.

2- تحليل الوظائف المتعددة للقلاع التي تجاوزت الدور العسكري لتشمل الجوانب الإدارية،و الاقتصادية، والاجتماعية.

3- تتبع التحول الوظيفي لهذه القلاع في العصر الحديث، من رموز للسلطة القبلية إلى أيقونات للهوية الوطنية وموارد للتنمية المستدامة.

4- من خلال تحقيق الأهداف السالفة تسعى الدراسة لتقديم فهم أعمق لديناميات الاستيطان وتكوين الدولة في الساحل الشرقي لدولة الامارات العربية المتحدة.

الإطار النظرى للبحث :

1- لفهم الدور المركزى للقلاع يتبنى البحث نظرية المكان المركزى Central place theory))التى طورها King, Leslie J حيث تدور على فكرة أن لبعض الأماكن دورا مركزيا فى تشكيل البنية الحضارية والاجتماعية للمنطقة التى يضمها هذا المكان حيث يكون له دور فاعل فى عملية التشكل الحضارى لاعتبارات بنيوية تخص ذلك المكان وتميزه [6].

2- ولفهم العلاقة التفاعلية بين الانسان وبيئته يتبنى البحث نظرية تعرف باسم الآثار البيئية (**Environmental Archaeology**) المنسوبة إلى Dincauze, Dena F فمن خلالها ، يمكن فهم كيف أن اختيار مواقع القلاع لم يكن عشوائياً، بل ارتبط بشكل وثيق بالتحكم في الموارد الحيوية كالمياه والأراضي الزراعية، مما يعكس فهماً عميقاً للبيئة المحلية[7].

منهجية البحث

اعتمد البحث منهجا مركبا يجمع بين أدوات تحليلية متنوعة (Multi-disciplinary)
حيث تمثلت أركان ذلك المنهج المركب فما يلى :

- المنهج التاريخي التحليلي: القيام بتحليل السياقات التاريخية لبناء القلاع وتطورها عبر الزمن، مع مراعاة الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي أثرت على هذه البنية وفى سياق ارتفاق هذا المنهج سيتم التركيز على دراسة الوثائق التاريخية والتقارير الأثرية التي توضح العلاقة بين القلاع والبيئة المحيطة بها.
- الدراسة الميدانية والتوثيق المعماري: سيتضمن البحث زيارات ميدانية إلى مواقع القلاع الرئيسية مثل قلعة الفجيرة وحصن البثنة واوحلة وغيرها سيتم توثيق العناصر المعمارية المميزة وتحليلها باستخدام أساليب التحليل المعماري لتحديد خصائص التصميم الدفاعي وتطوراتها عبر العصور
- مراجعة الأدبيات

[6] King, Leslie J. *Central Place Theory*. Beverly Hills: Sage Publications, 1985.
[7] Dincauze, Dena F. *Environmental Archaeology: Principles and Practice*. Cambridge: Cambridge University Press, 2000.

تُظهر الدراسات التاريخية والمعمارية المختلفة التي أُجريت حول القلاع في الإمارات العربية المتحدة أنها لم تكن مجرد منشآت دفاعية فقط، بل لعبت أدوارًا سياسية وإدارية هامة. في دراسة البلوشي[8] (2019)، يتم التركيز على البُعد الاجتماعي لهذه القلاع، حيث كانت تشكل مراكز للتفاعل بين الحكام والسكان المحليين، وتُستخدم كأماكن للتفاوض وعقد الاجتماعات القبلية.

من جانب آخر، تشير دراسة Smith (2019)[9] إلى أن القلاع في الإمارات تُعتبر نموذجاً فريداً للعمارة الدفاعية في منطقة الخليج العربي، حيث تمزج بين الأساليب المحلية والتأثيرات الخارجية، خاصة من الإمبراطوريات المجاورة. ويقدم Wilson (2020) [10]رؤية شاملة حول كيفية تطور القلاع من مراكز عسكرية بسيطة إلى منشآت معقدة تؤدي أدواراً متعددة، بما في ذلك الحماية والتحصين وتنظيم الحياة الاجتماعية في المحيط الذي تخدمه.

- هيكل البحث ومشتملاته وللوصول إلى أهداف البحث فقد اشتمل على المباحث التالية :

1- السياق التاريخى والديمغرافى للامارة

2- التركيبة القبلية ، وصعود الشرقيين القبيلة المسيطرة من قديم على الفجيرة

3- بناء القلاع لم يكن مجرد إجراء دفاعى بل كان عملا ذا طبيعة سياسية

4- العوامل الباعثة على بناء القلاع جيوسياسية واقتصادية

1- السياق التاريخي والديموغرافي لإمارة الفجيرة

يعود تاريخ الاستيطان البشري في منطقة الفجيرة إلى عصور ما قبل التاريخ. تشير الأدلة الأثرية إلى وجود الإنسان منذ العصر الحجري القديم، ، وتؤكد الاكتشافات في مواقع مثل وادي "مضب" وجود استيطان مستمر خلال العصر الحجري الحديث، مما يدل على أن المنطقة كانت مأهولة بشكل دائم مرورا بالعصر البرونزى فالعصر الحديدى ثم العصر الحديث.[11]

شهدت المنطقة تحولاً كبيراً نحو الاستقرار النسبي، مدفوعاً بتغيرات مناخية حفزت المجتمعات على الاستقرار حول مصادر المياه التى تحفز على النشاط الزراعى احد المحفزات الاساسية على الاستقرار البشرى.

[8] البلوشي، محمد "التراث المعماري في الإمارات". الشارقة: مركز البحوث التاريخية. 2019

[9] Smith, R. "Military Architecture in the Gulf". Journal of Arabian Studies, 12(2), 45-67.2019

[10] Wilson, A. "Conservation of Historical Fortresses". International Journal of Heritage Studies, 25(3), 89-112. 2020

[11] الشامسي ، أحمد خليفة ، تاريخ الفجيرة شواهد ودلائل أثرية ، هيئة الفجيرة للثقافة والاعلام ، ط1، 2015، ص 118

وقد كشفت الحفريات في مواقع مثل أوحلة عن وجود حصون تعود إلى العصر الحديدي، مما يشير إلى أن فكرة التحصين كانت جزءاً لا يتجزأ من أنماط الاستيطان المبكرة وهو ما يمثل يوفر الخلفية التاريخية اللازمة لفهم الحاجة المتزايدة لمنشئات دفاعية وإدارية أكثر تعقيداً مع تطور المجتمعات[12] التركيبة القبلية ، وصعود الشرقيين القبيلة المسيطرة من قديم على الفجيرة تاريخياً، كانت قبيلة الشرقيين هي القوة السكانية والسياسية المهيمنة على طول الساحل الشرقي، وهي المنطقة التي عرفت باسم "الشميلية". ووفقاً لإحصاء أجري عام 1968، شكل الشرقيون ما يقارب 90% من سكان القبائل في الفجيرة[13] .تقليدياً، كانت القبيلة تابعة لنفوذ القواسم في الشارقة، ولكنها سعت باستمرار لتأكيد استقلاليتها[14].

و كما هى العادة فى المجتمعات القبلية فإن القبيلة تفرز دوما قيادتها فى صورة المشيخات المتسيدة على القبيلة ، ومن ثم فقد كان للمشايخ من قبيلة الشرقيين حضورهم الدائم فى المنطقة وظهرت من بينهم العديد من الأسماء التى كان لها دور بارز فى تاريخ المنطقة بما فى ذلك بناء القلاع والحصون وتبلور الشخصة المميزة للامارة واستقلاليتها.[15]

وفى إطار دورهم الرئيس فى قيادة شعوب المنطقة وقبائلها فى وقتى السلم والحرب كانت الحاجة لبناء مراكز للحكم بالإضافة لمنشئات تستهدف حماية المنطقة وسكانها فى مواجهة كل صور الاستهداف الخارجى سواء من غزاة الخارج الطامعين فى ثروات الخليج ومقدراته وقد كانت من قديم مركزا للغوص على اللؤلؤ والاتجار فيه وكانت لها شهرة خاصة فى ذلك الصدد ولا شك أن اللؤلؤ كان ولم يزل من النفائس صانعة الثراء فى الماضى والحاضر وهكذا كان ظهور القلاع والحصون نتاجا طبيعيا لحاجات فعلية فى الاستقرار والاستقلال والحماية والحفاظ على الامن والارواح والمقدرات .

بناء القلاع لم يكن مجرد إجراء دفاعى بل كان عملا ذا طبيعة سياسية

في هذا السياق، لم يكن بناء القلاع مجرد إجراء دفاعي، بل كان عملاً سياسياً بامتياز ، وإعلاناً صريحاً عن السيادة والاستقلالية . ومن هنا يمكن اعتبار بناء قلعة الفجيرة على يد الشيخ محمد بن مطر الشرقي حوالي عام 1808 م نقطة

[12] المرجع السابق ، ص 64

[13] Zahlan, Rosemarie Said. *The Origins of the United Arab Emirates: A Political and Social History of the Trucial States*. London: Macmillan, 2016.2016, P155

[14] ماكلوكين ، لزلى ، تاريخ الامارات العربية المتحدة مختارات من اهم الوثائق البريكطانية 1797- 1965 مج4 ، نورحوران للدراسات والنشر والتراث ، سوريا ، 2023 ، ص413 وما بعدها ، لوريمردولة الامارات العربية المتحدة فى دليل الخليج ،بيسان ن 2014 ، ص261 وما بعدها

[15] المرجع السابق ، الصفحات نفسها

تحول مفصلية فى تاريخ المنطقة ، حيث شكلت هذه القلعة نواة المدينة القديمة ، وبداية تاريخ الفجيرة الحديث. [16]

لقد كانت عملية تشييد حصن بهذا الحجم يتطلب حشد الموارد المالية والطاقات البشرية اللازمة لاقامة هذا الحصن من فنيين مهرة وبنائين وفاعلين فضلا عن هيئة مشرفة فعالة يقظة خبيرة فى الأمور الادارية والفنية مما يجعله لونا من ألوان الاستعراض لقوة الحاكم ، وإظهار قدرته على فرض سلطته، كما كان يمثل تحدياً مباشراً للقوى المهيمنة آنذاك الداخلية منها والخارجية حيث كانت تعج المنطقة بالنزاعات بين القبائل المتنافسة كالقواسم وبن ياس والشرقيين وغيرهم كما كانت مسرحا لغزوات متتابعة من البرتغاليين[17]. وبالتالي، يمكن قراءة التاريخ المعماري لقلاع الفجيرة كتاريخ سياسي موازٍ لعملية تشكل الإمارة ونضالها من أجل الاستقلال، والذي توج بالاعتراف البريطاني بها كإمارة من امارات الساحل المتصالح في عام 1952[18]

العوامل الباعثة على بناء القلاع جيوسياسية واقتصادية

لعب موقع الفجيرة الاستراتيجي، بوصفها الإمارة الوحيدة المطلة مباشرة على بحر عُمان، دوراً حاسماً في تاريخها. فلقد جعلها هذه الموقع بوابة تجارية حيوية تربط بين الخليج العربى والمحيط الهندي.[19] منذ القرن السادس عشر، شهدت سواحل الخليج العربى موجات من الغزو الخارجي، بدءاً من البرتغاليين وصولاً إلى النفوذ البريطاني.[20] بل لم تسلم المنطقة من غزوات القبائل المناوئة الراغبة فى اخضاع هذه الامارة الغنية بثرواتها ومواردها وموقعها الاستراتيجى لسيطرتها وقد كان من علامات ذلك وأدلته ان قلعة الفجيرة قد احتلها الوهابيون الذين شكلوا دولتهم فى داخل الجزيرة العربية وقد استقروا فيها حينا من الدهر.[21]

---

[16] عبد الرحيم ، ابراهيم عبد الرحمن ن مراكز العمران البشرى فى السهل الساحلى الشرقى لدولة الامارات العربية المتحدة ، دراسة تطبيقية على مدينة الفجيرة ، 2002، غير محدد مكان النشر او الناشر ، ص 82

[17] القاسمى ، خالد بن محمد ، التاريخ السياسي والاجتماعى لدولة الامارات العربية المتحدة 1945- 1991 ، المكتب لاالجامعى الحديث ، مصر ، بدون تاريخ ، ص 92 وانظر ايضا ماكلوكين ، لزلى ، تاريخ الامارات العربية المتحدة مختارات من اهم الوثائق البريكطانية 1797- 1965 مج4 ، نورحوران للدراسات والنشر والتراث ، سوريا ، 2023 ، ص413 وما بعدها ، لوريمردولة الامارات العربية المتحدة فى دليل الخليج ،بيسان ن 2014 ، ص261 وما بعدها

[18] هيرد باى ، فراوكه ، ترجمة عايدة ينى خورى ، من الامارات المتصالحة إلى دولة الامارات العربية المتحدة ، موتيفيت ميديا جروب، الامارات العربية المتحدة . 2007 ، ص

[19] الهزاني ، بدرية عبدالله تاريخ شرقي الجزيرة والخليج العربي،الدار العربية للموسوعات بيروت،ط1، 1438-2017م.ص 9 وما بعدها

[20] انظر ماكلوكين ، لزلى ، تاريخ الامارات العربية المتحدة مختارات من اهم الوثائق البريكطانية 1797- 1965 مج4 ، نورحوران للدراسات والنشر والتراث ، سوريا ، 2023 ، ص413 وما بعدها ، لوريمردولة الامارات العربية المتحدة فى دليل الخليج ،بيسان ن 2014 ، ص261 وما بعدها ، الشامسي ، أحمد خليفة ،مرجع سابق ص117

[21] لوريمر ، مرجع سابق ، ص22

وقد تعرضت قلاع المنطقة منذ ظهوها لاعتداءات عديدة من القوى الغازية المعتدية وبخاصة من البرتغاليين أولى القوى الخارجية الطامعة فى المنطقة مرورا بالهولنديين وأخيرا الانجليز[22] وقد تعددت بالطبع المبررات المزعومة لتلك الاعتداءات المتكررو ولكنها كانت مجرد ذرائع فى كل مرة تخفى خلفها المطامع الاستعمارية الاحتكارية القائمة على استضعاف سكان المنطقة لعدم امتلاكهم الكثير من أدوات الحروب الحديثة التى امتلكها هؤلاء الغزاة الطامعون فاستقووا بها على الحكام المحليين المسالمين.[23]

دراسات حالة معمارية وأثرية: تحليل نماذج رئيسية من قلاع الفجيرة

قلعة الفجيرة

- الموقع والتاريخ : تتميز قلعة الفجيرة بفرادتها، إذ شيدت على ربوة عالية في منطقة الفجيرة القديمة، ويرتفع بناؤها إلى نحو 20 متراً عن سطح البحر وتبعد نحو 3 كيلومتر عن ساحل البحر. وتعد من أقدم القلاع الإماراتية، إذ شيدت ما بين 1500 – 1550 ميلادية، وقد شهدت الكثير من العوامل التي عرضت جدرانها للانهيار والتلف، لكن أعيد بناؤها في الفترة 1650 – 1700م، وكان أول ترميم لها عام 1925م ثم في منتصف الستينيات لانهيار البرج الشمالي والمربعة وفي 1998 – 2000 خضعت القلعة بشكل شامل للترميم، حيث استخدمت فيها ذات المواد التي بنيت منها.[24]

- التصميم المعماري : تتكون القلعة من ثلاثة أبراج دائرية، وبرج مربع، وقاعة مركزية، وأسوار عالية. تم بناؤها بالكامل من مواد محلية مثل الصخور، الطين، التبن، والجص (الصاروج). وتكشف الدراسات عن إعادة استخدام مواد أثرية في بنائها، حيث استُخدمت صخور من برج مجاور يعود للألفية الثالثة قبل الميلاد.[25]

- الوظائف المتعددة :لم تكن القلعة مجرد حصن عسكري، بل كانت مركزاً متكاملاً للحياة السياسية والاجتماعية. فقد كانت مقراً لإقامة الأسرة الحاكمة ومركزاً لإدارة شؤون الإمارة. كما كانت بمثابة ملجأ آمن للمجتمع المحلي في أوقات الخطر. بالإضافة إلى ذلك، استخدمت بعض أجزاء القلعة كسجن. هذا التعدد الوظيفي يؤكد دورها

[22] الشامسي ، احمد خليفة مرجع سابق ص 117

[23] المهرى عبد الله محمد جلفار وساحل الشميلية فى ضوء الوثائق البريطانية 1507- 1726الارشيف والمكتبة الوطنية الامارات العربية المتحدة ط1 2023 ص 25

[24] المرجع السابق ص 120

[25] قنديل محمد عيسي معجم اسشماء الاماكن والمواقع فدولة الامارات العربية المتحدة جغرافيا وتاريخ الارشيف والمكتبة الوطنية الامارات ط1 2020 ص18

كنواة مركزية للحياة في المنطقة[26].

قلعة البثنة[27]:

- الموقع والأهمية :شيدت القلعة في قرية البثنة لحماية وتأمين وادي حام، الممر البري الحيوي الذي يربط الساحل الشرقي بالمناطق الداخلية. يعود تاريخ بنائها إلى حوالي عام 1735م. السيطرة على هذا الممر كانت تعني السيطرة على حركة التجارة والقوافل
- التصميم الدفاعي :يعكس تصميم القلعة وظيفتها العسكرية البحتة. فهي مبنية على شكل مربع مكون من طابقين، ولها باب واحد صغير. وتتخلل جدرانها السميكة فتحات صغيرة للمراقبة وإطلاق النار
- الأهمية الأثرية :تقع القلعة في منطقة غنية بالآثار، حيث تم اكتشاف مقابر ومستوطنات تعود إلى العصر الحديدي، مما يؤكد على الأهمية الاستراتيجية لهذا الممر عبر آلاف السنين.

حصن وقصر الحيل [28]:

- الطبيعة المزدوجة :كان الحصن بمثابة المقر الصيفي للأسرة الحاكمة. يتألف من مجمع سكني كبير يضم قاعات للاجتماعات والاستقبال وغرف نوم ومخازن. وفي الوقت نفسه، يحيط بالمجمع سور حصين وبرج مراقبة منفصل، مما يوفر نظام إنذار مبكر.
- التصميم والمواد :بني الحصن بمواد محلية، وتتميز جدرانه الداخلية بزخارف وكوات، مما يعكس مكانته كمقر إقامة للحاكم ويجمع بين القوة والجمال .
- السياق الاجتماعي :يوضح هذا النموذج كيف كانت حياة السلطة الحاكمة مندمجة مع المتطلبات العسكرية، مما يعكس حالة التأهب الدائم التي كانت سائدة.

قلاع أخرى (أوحلة، مسافي، سكمكم)[29]:

بالإضافة إلى القلاع الرئيسية، تنتشر في أرجاء الفجيرة شبكة من الحصون والأبراج الأصغر حجما

- قلعة أوحلة :تعود أصولها إلى العصر الحديدي، مما يجعلها من أقدم المواقع المحصنة المكتشفة. تصميمها الدفاعي

[26] قنديل محمد عيسي معجم اسشماء الاماكن والمواقع فدولة الامارات العربية المتحدة جغرافيا وتاريخ الارشيف والمكتبة الوطنية الامارات ط1 2020 ص19

[27] راشد ، على محمد ، الحصون والقلاع فى الامارات العربية المتحدة ، الارشيف والمكتبة الوطنية الامارات ، ط3 ، 2016 ص 361

[28] المرجع السابق ، 365

[29] Ziolkowski, M. C., and Saleh Ali Al-Sharqi. "The Masafi fort, United Arab Emirates: Evidence for Iron Age and Late Islamic period construction." *Proceedings of the Seminar for Arabian Studies* 38 (2008): 317–332.

المكون من أبراج وأسوار حجرية ضخمة يبرز استمرارية الحاجة إلى التحصين عبر آلاف السنين.

- قلعة مسافي :تقع في منطقة مسافي الحيوية. تلعب اليوم دوراً ثقافياً بارزاً، حيث تستضيف فعاليات تراثية وتضم محال تجارية.
- قلاع صغيرة :توجد قلاع وحصون أخرى أصغر حجماً مثل قلاع سكمكم، حبحب، الطويين، ووادي سهم. كانت هذه القلاع تشكل جزءاً لا يتجزأ من شبكة دفاعية ومراقبة أوسع.

التأثير المباشر للقلاع على أنماط الاستيطان والتطور العمراني[30]

الحصن كمحفز للانتقال إلى الاستقرار يمكن بتحليل متعمق لظاهرة بناء القلاع والحصون وآثارها على أنماط الاستيطان والتطور العمرانى بمنطقة الفجيرة أن نستخلص الحقائق التالية :

1- بناء الحصون بوصفه محفزا للتجمع والاستقرار

في بيئة جغرافية صعبة، كانت حياة البداوة والترحال استراتيجية فعالة لإدارة الموارد. لقد جاء بناء الحصون ليغير هذه المعادلة بشكل جذري. لم يكن بناء الحصن مجرد استجابة لحاجة دفاعية لمستوطنة قائمة، بل كان في كثير من الأحيان هو الفعل الذي حفز على قيام تلك المستوطنة[31]. يمثل الحصن استثماراً ضخماً للموارد المتاحة من قبل سلطة حاكمة، وهو ما يخلق "منطقة أمان " تجعل الاستثمار طويل الأمد في الزراعة وبناء المساكن الدائمة خياراً استراتيجياً قابلاً للتطبيق. بوجود الحصن، يتغير حساب المخاطرة والمكافأة لدى القبائل البدوية، مما يشجع على حفر الآبار، وبناء أنظمة الري، واستصلاح الأراضي. وبهذا، يصبح الحصن هو العامل المباشر الذي يدفع عملية التحول الديموغرافي فى المنطقة كما وكيفا من حياة الترحال إلى حياة الاستقرار.

2- تأمين الممرات التجارية وتشكيل الاقتصادات المحلية كأداة فعالة من أدوات التشجسع على الاستقرار والفعل الحضارى العمرانى

[30] انظر عبد الرحيم ، ابراهيم عبد الرحمن ن مراكز العمران البشرى فى السهل الساحلى الشرقى لدولة الامارات العربية المتحدة ، دراسة تطبيقية على مدينة الفجيرة ، 2002، غير محدد مكان النشر او الناشر ، مرجع سابق صفحات متفرقة

[31] المرجع السابق ، ص82

لم تكن القلاع مجرد أدوات عسكرية، بل كانت أدوات اقتصادية بالدرجة الأولى. إن السيطرة على ممر حيوي مثل وادي حام من خلال قلعة البثنة لم يكن مجرد إنجاز عسكري، بل كان استراتيجية اقتصادية محكمة [32].فقد ضمنت هذه السيطرة تدفق التجارة بشكل آمن ومستمر بين الساحل والداخل، مما شجع على إقامة الأسواق والمستوطنات التجارية. إن فرض الضرائب على القوافل المارة وتوفير الحماية لها كانا من أهم مصادر الدخل للسلطة الحاكمة. وبهذا، تحولت القلاع من مجرد نقاط دفاعية إلى محاور اقتصادية تضمن استدامة المجتمعات المحيطة بها.

3- حماية الموارد المائية والزراعية كنواة للاستقرار السكاني

ارتبط اختيار مواقع بناء القلاع فى منطقة الفجيرة ارتباطاً وثيقاً بوجود الموارد الطبيعية الحيوية، وعلى رأسها مصادر المياه والأراضي الزراعية الخصبة. فالعديد من القلاع شيدت لحماية الواحات وأنظمة الري التقليدية (الأفلاج) كما نلمس فى البثة مثلا . هذه الحماية كانت شرطاً أساسياً لتحول المجتمع من اقتصاد الرعي إلى اقتصاد الزراعة المستقرة فالزراعة تحتاج نظاما مستقرا للحماية أساسا فضلا عن أنظمة الرى الملائمة. إن ضمان الوصول الآمن للمياه لم يكن يعني فقط القدرة على زراعة المحاصيل، بل كان يعني أيضاً القدرة على دعم كثافة سكانية أعلى ونمو القرى والبلدات ومن هنا فقد عملت الحثون القلاع كضامن للاستدامة البيئية والاقتصادية للمجتمعات .

4- الحصن نقطة جذب ديموغرافية وشبكة للسيطرة على الإقليم

يمكن فهم العلاقة بين الحصن والمستوطنة من خلال مفهوم "النواة الجاذبة"[33]. لقد شكل الحصن مركز الثقل الذي نمت حوله المستوطنات بشكل عضوي. فالقرية التراثية التي تحيط بقلعة الفجيرة هي مثال مادي حي على هذه العلاقة التكافلية. وفر الحصن للسكان الأمن، والإدارة، والعدالة، والملجأ. علاوة على ذلك، لا ينبغي النظر إلى هذه القلاع ككيانات معزولة، بل كعقد مترابطة في شبكة دفاعية وإدارية شاملة. تمثل هذه الشبكة استراتيجية متطورة للسيطرة على الإقليم فلقد عملت القلاع الرئيسية كمراكز قيادة، بينما عملت الحصون والأبراج الأصغر كنقاط أمامية للمراقبة والإنذار المبكر. ولقد سمح هذا النظام للسلطة الحاكمة بفرض سلطتها ومراقبة الحركة عبر كامل أراضيها.

[32] Kennet 2002

[33] King, Leslie J. *Central Place Theory*. Beverly Hills: Sage Publications, 1985

5-الدور المعاصر للقلاع: الترميم، السياحة، والهوية الوطنية واثر ذلك على العملية الاستيطانية

بعد عقود من الإهمال، بدأت حقبة جديدة من الاهتمام بقلاع الفجيرة في أواخر تسعينيات القرن العشرين. قادت هيئة الفجيرة للسياحة والآثار جهوداً واسعة النطاق لترميم وإعادة تأهيل هذه انها تتبنى فلسفة ترميم تحافظ على الاصالة التاريخية لهذه الصروح التاريخية[34] ما يميز هذه فقد تم استخدام نفس المواد والتقنيات التقليدية التي بنيت بها القلاع، مثل الصخور المحلية، والطين، والصاروج، وجذوع النخيل والمهارات الحرفية التقليدية.

6-التحول إلى مورد اقتصادي: السياحة الثقافية والأثرية

نتيجة لجهود الترميم، تحولت قلاع الفجيرة إلى وجهات سياحية رئيسية. وتشير التقديرات إلى أن هذه المواقع تستقطب أكثر من 150 ألف سائح سنوياً، مما يسهم بشكل ملموس في تنويع اقتصاد الإمارة[35]. ولتسهيل الوصول إلى هذه المواقع، قامت حكومة الفجيرة بتعبيد الطرق المؤدية إليها وتطوير البنية التحتية المحيطة بها. لم يقتصر الأمر على مجرد فتح المواقع للزيارة، بل تم تفعيلها ثقافياً من خلال تنظيم الفعاليات التراثية، وإنشاء قرى تراثية ومتاحف صغيرة بجوارها.

7- القلاع كرموز للهوية الوطنية وروافع للذاكرة الجماعية

لعل التحول الأهم الذي شهدته هذه القلاع هو تحولها الدلالي. في دولة الإمارات الحديثة، تم إعادة توظيف هذه الرموز التاريخية لتخدم أهدافاً وطنية معاصرة. فبدلاً من أن تكون رموزاً لتاريخ قبلي مجزأ، تم تقديمها كجزء من تراث وطني موحد يروي قصة كفاح الأجداد وبناء الوطن.

إن هذه العملية تمثل عملاً متعمداً من أعمال بناء الدولة الحديثة، حيث يتم إعادة استملاك رموز الماضي وإعادة صياغة روايتها لتناسب متطلبات الحاضر. فالحصن الذي كان يمثل سيادة قبيلة، أصبح اليوم يمثل تراث كل الإماراتيين، مما يعمل على تعزيز التماسك الاجتماعي وخلق ذاكرة جماعية مشتركة.

[34] Al-Ain News 2016

[35] تقرير هيئة السياحة فى الفجيرة ، 2020، Alain news 2016 ، راشد ، على محمد مرجع سابق ص 49

الخاتمة والنتائج

لقد أثبت هذا البحث أن قلاع وحصون إمارة الفجيرة كانت أكثر بكثير من مجرد منشآت دفاعية سلبية بل كانت عوامل فاعلة ومحفزة للتطور الحضري والسكاني. لقد عملت هذه الحصون كنوى جاذبة، شجعت على الانتقال إلى حياة الاستقرار والزراعة من خلال توفير عنصر الأمن. كما شكلت نقاط ارتكاز للسيطرة على الممرات التجارية والموارد الطبيعية، مما جعلها محركات اقتصادية وسياسية. إن الشبكة المترابطة من القلاع والحصون والأبراج لم تكن مجرد مجموعة من المباني المتناثرة، بل كانت نظاماً متكاملاً يعكس استراتيجية سياسية وعسكرية محكمة لفرض السيادة وتوحيد الإقليم.

تؤكد نتائج الدراسة الفرضية المركزية التي انطلقت منها، وهي أن العلاقة بين الحصون والمجتمعات في الفجيرة كانت علاقة عضوية وتكافلية. لم يكن الحصن مجرد بنية فوقية فرضت على المجتمع، بل كان جزءاً لا يتجزأ من نسيجه الاجتماعي والاقتصادي. وفي العصر الحديث، تستمر هذه العلاقة التكافلية ولكن في شكل جديد، حيث تساهم القلاع في بناء الهوية الوطنية والتنمية الاقتصادية، بينما تقوم الدولة الحديثة بالحفاظ عليها وإعادة إحيائها.

REFERENCES

عمارة ، عبد الله سليم وآخران ، الموجز فى تاريخ الامارات العربية المتحدة منذ عصور ما قبل التاريخ حتى 1971الحضارى والسياسي ، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ، ط1، 2019

السنهورى ، اسلام . القلاع والحصون فى الامارات ، مراكز الراية للنشر والاعلام ، القاهرة ، 2016

الشامسي ، أحمد خليفة ، تاريخ الفجيرة : شواهد ودلائل أثرية ، هيئة الفجيرة للثقافة والاعلام ، الامارات العربية المتحدة ، ط1، 2015

هيرد باى ، فراوكه ، ترجمة عايدة ينى خورى ، من الامارات المتصالحة إلى دولة الامارات العربية المتحدة ، موتيفيت ميديا جروب، الامارات العربية المتحدة . 2007

عبد الله، محمد ، تاريخ الإمارات وتطورها الدفاعي ، دبي: منشورات الإمارات التاريخية ، 2020

الحارثي، سالم ، الهندسة الدفاعية للقلاع في الإمارات: دراسة تحليلية ، العين: جامعة الإمارات العربية المتحدة ، 2019 .

دويل، روبرت ، حصون الإمارات: تاريخ القلاع والحصون في شبه الجزيرة العربية ، لندن، مطبعة الشرق الأوسط ، 2016

الزيدي، خالد. الدور السياسي للقلاع في الإمارات ، دبي: مركز الدراسات السياسية ، 2018

البلوشي، علي . دراسة تحليلية حول قلاع الإمارات: دورها التاريخي والمعماري. العين: دار الإمارات للنشر. 2017.

العامري، خالد "العمارة الدفاعية في الخليج العربي". دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث. 2018

البلوشي، محمد "التراث المعماري في الإمارات". الشارقة: مركز البحوث التاريخية. 2019 .

الهزاني ، بدرية عبدالله تاريخ شرقي الجزيرة والخليج العربي،الدار العربية للموسوعات بيروت،ط1، 1438-2017م.

عبد الرحيم ، إبراهيم عبدالرحمن ، مراكز العمران البشري في السهل الساحي الشرقي لدولة الإمارات العربية المتحدة ،دراسة تطبيقية على مدينة الفجيرة ، ،دراسة ماجستير -2002م

المهيرى ، عبد الله محمد ، جلفار وساحل الشميلية في ضوء الوثائق البرتغالية(1507-1726م) ،ط1، 2023م ،الأرشيف والمكتبة الوطنية،دولة الإمارات العربية المتحدة،

العيدروس محمد ، دولة الإمارات العربية المتحدة من الإستعمار إلى الإستقلال ،ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع ،ط1 -1989م،

محمد، أحمد رجب علي، مدخل إلى التراث المعماري والعسكري في دولة الإمارات العربية المتحدة، ،مركز زايد للتراث والتاريخ،ط1، 2004م.

راشد ، علي محمد ،الحصون والقلاع في دولة الإمارات العربية المتحدة، الأرشيف والمكتبة الوطنية ،ط3 2016م.

Al-Ain News. "هيئة الفجيرة للسياحة والآثار ترمم قلاع وحصون الإمارة." *Al-Ain News*, January 28, 2016.

Dincauze, Dena F. *Environmental Archaeology: Principles and Practice*. Cambridge: Cambridge University Press, 2000.

Fujairah Tourism & Antiquities Authority (FTA). علم الآثار وتاريخ الفجيرة. Fujairah: FTA Publications, 2023.

Kennet, Derek. "The development of northern Ra's al-Khaimah and the 14th-century Hormuzi economic boom in the lower Gulf." *Proceedings of the Seminar for Arabian Studies* 32 (2002): 151–64.

King, Leslie J. *Central Place Theory*. Beverly Hills: Sage Publications, 1985.

Thompson, James A. "Tales from the old guards: Bithnah Fort, Fujairah, United Arab Emirates." *Arabian Archaeology and Epigraphy* 20, no. 1 (2009): 62–75.

Zahlan, Rosemarie Said. *The Origins of the United Arab Emirates: A Political and Social History of the Trucial States*. London: Macmillan, 2016.

Ziolkowski, M. C., and Saleh Ali Al-Sharqi. "The Masafi fort, United Arab Emirates: Evidence for Iron Age and Late Islamic period construction." *Proceedings of the Seminar for Arabian Studies* 38 (2008): 317–32.

Smith, R. "Military Architecture in the Gulf". Journal of Arabian Studies, 12(2), 45-67.2019

Wilson, A. "Conservation of Historical Fortresses". International Journal of Heritage Studies, 25(3), 89-112. 2020